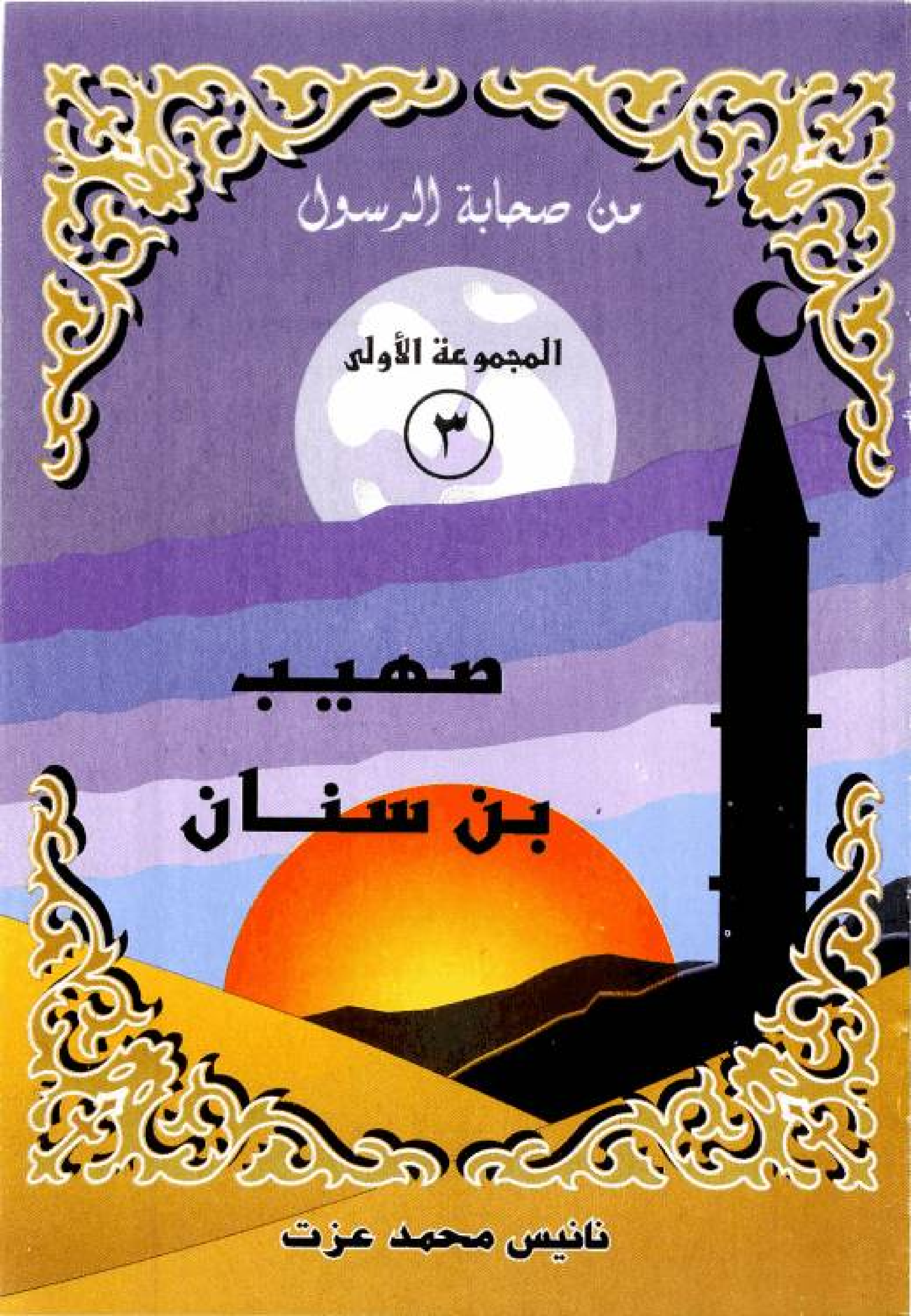

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
٣
صهيب
بن سنان
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٣

صهيب بن سنان

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

صهيب بن سنان

وقَف التّلاميذُ فى فِناءِ المدرَسة ، يَتَهامَزون ويَتلامزون ، أى يَغتابونَ « بَدرًا » ويَعيبونَه . إذ كانَ ألثَغَ لا يَنطِقُ حَرْفَ الرّاء ، ويَنطقُ ، بدَلاً منه حَرْفَ اللّام .

قالَ حسنٌ يسخَرُ من بَدر : هل لُحتَ إلى المَدلَسَةِ هذا النّهالَ يا بَدْلُ أو لم تلُح ؟ يقْصِد : هل رُحتَ إلى المَدرَسَةِ هذا النّهارَ يا بَدرُ أو لم تَرُح ؟

وقالَ سَيفٌ مُستهزِئا : تُليدُ المُدلّسَةُ مِنكَ أن تُحضِلَ كُلاّسَةَ العَلَبىِّ يابَدْل .

يَقْصِد : تُرِيدُ المُدرِّسَةُ مِنكَ أن تُحضِرَ كُرّاسَةَ العَربِيِّ يا بَدْر .

فَضحِكَ التّلاميذُ كلُّهم بصَوتٍ مُرتَفِع ، حتّى وصل ضَحِكُهم إلىَ الأُستاذِ مُحمّد ، مُدرّسِ التّربَيةِ الدّينِيَّة ، فغَضِبَ واسْتاءَ كَثيرًا لِسوءِ أخلاقِ تَلاميذِه . وأعدَّ لهم قِصَّةَ يَقُصُّها عليهم ، تُعلِّمُهم كيفَ يَحتَرِمونَ غَيرَهم ، ويُراعونَ عدَمَ الاسْتِهزاءِ بهم .

وفى حِصَّةِ التّربَيةِ الدّينِيَّة ، سألَ المُدرّسُ تَلاميذَه : مَن منكم يَعرِفُ قِصَّةَ صُهَيبِ بنِ سِنان . مَن يَستَطيعُ أن يَحكى قِصَّتَه ؟

فسَكَتوا جَميعًا فهم لا يَعرِفونَ من هو صُهَيبُ بنُ سِنان .

قالَ الأُسْتاذُ مُحمَّد : سأقُصُّ أنا عَليكُم قِصَّةَ صُهيبِ بن سِنان ، على أن تَعِدونى بالاسْتِماعِ إلى القِصَّة ، وفَهمِ الغَرضِ المَقصودِ منها .

فرِحَ التّلاميذُ وهَلّلوا وقالوا : نَعَم ، احْكِ لنا القِصَّة ، فنحنُ نُحبُّ سماعَ القِصَص. وسَنفْهمُ الغرَضَ المَقْصودَ منها ونَعمَلُ به .

وبدأَ الأُستاذُ مُحمَّد يَحكى قِصَّةَ صُهَيبِ بنِ سِنان ، فقال : كانَ صُهَيبٌ عَربىَّ الأصْلِ ، وكانَ أبوهُ حاكِمَ « الأُبُلَّة » ، وهى بَلدَةٌ فى بلادِ العِراق . وقد نشأَ صُهيبٌ فى بَيتِ أبيهِ مُتْرَفًا سَعيدًا هانِئا ، لا يَعرِفُ فى الحَياةِ إلاّ القُصورَ والحَدائق ، وأن تُجابَ كُلُّ مَطالِبه ؛ فقد كانَ صُهَيبٌ أحَبَّ أولادِ أَبيهِ إلَيه .

وذاتَ مرّةٍ أخَذتْهُ أُمُّه مَعَهـا إلى قريَـةِ «الثّنـى» بـالعِراق ، للرَّاحَـةِ والاسْتِجمام . ومِـن حُسْـنِ حَظّه ، أو من سوءِ حَظّـهِ لا نَسـتطيعُ أن نَقَـرِّر ، أغارَتِ الجُيوشُ الرّومانِيَّةُ على القَريَـةِ فـى ذلـك الوَقـت ، فنَهبَـتْ أمْوالَهـا ، وأسَـرَتْ رِجالَهـا ونِسـاءَها ، وكـان مـن بَـينِ الأَسـرَى الفَتـى صُهَيب ، فعرفَ صُهَيبٌ حياةَ الرِّقّ ، حَياةَ الـذُّلِّ والعُبودِيَّـة ، بعـدَ حَيـاةِ القُصـور ، حَيـاةِ الحُرِّيَّـةِ والسِّيادَة .

وتنقّلَ صُهَيبٌ فى بِلادِ الرّوم ، مِـن يَـدِ مـالكٍ إلَـى يَـدِ مـالِكٍ آخَـر ، وأخـذَ عَن الـرّومِ اللُّغَـة الرّومِيَّة ، ونَسِيَ أو كادَ يَنسَى اللُّغَةَ العَربِيَّة .

إلَى أن اسْتَطاعَ صُهَيبٌ أن يَنتَهِزَ الفُرْصَة ، فَتَغفّلَ أسْيادَهُ وفَرّ إلى مَكّة ، عِندَ ما سَمِع من بَعضِ الكَهَنَة ، أنّ نبيًّا يَظهَرُ فى مَكّة ، ويُخرِجُ النّاسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور .

وفى مكّةَ أطلَقَ عليهِ النّاسُ اسْمَ « صُهَيبِ الرّومِيّ » لِلكنَةِ لِسانِه ، وحُمرَةِ شَعرِه . وتَعرّفَ صُهَيبٌ بسَيّدٍ من ساداتِ مَكّة ، هو عَبدُ اللّهِ بنُ جُدعان ، وعَمِلَ بالتّجارَة ، وأكرَمَه اللّهُ لأَمانَتِهِ ونَشاطِه ، فرَزَقَهُ رِزقًا حَسَنا ، حتّى أصبَحَ من أغنِياءِ مَكّة .

قالَ التّلميذُ أحمد : لابُدّ أنّ صُهَيبًا فَرِحَ بالحُرّيّةِ والغِنَى ، بعد أن قَضَى طُفولَتَهُ وصِباهُ فى الذُّلّ والعُبودِيّة .

ردَّ عَليهِ المُدرِّسُ بقَولِه : طَبعا ، فالحُرِّيـةُ نِعمَـةٌ غالِيَة ، لا يَشعُرُ بها إلاّ من فَقدَها وجرَّبَ العَيشَ بدونِها .

واستَمرَّ فى حِكايَةِ القِصَّة : وجـاءَتِ اللَّحظَةُ الّتى طالَما انْتَظرَها صُهَيب ، وبعثَ اللّهُ مُحمَّـدًا بَشيرًا ونَذيـرا ، فأسْـرعَ صُهَيـبٌ إلى دارِ الأَرقَـم حَيثُ يَجدُ مُحمَّدا . فقابلَ عِندَ بابهـا عَمّـارَ بـنَ ياسِر ، فدَخلا معًا إلَيها كـافِرَيْن ، وخَرجـا مِنهـا مُسلِمَيْن ، أعزَّ اللّهُ بهِما الإسْلام .

ومِثلَ كُلِّ من دخلَ فى دينِ مُحمَّدٍ صلّى اللّـهُ عليهِ وسَلّم ، لَقِىَ صُهَيبٌ أَقْسَى أنْـواعِ العَـذابِ والهَوان ، خاصَّةً وهو غَريبٌ ليس له من يَحميـهِ أو يَرفَعُ عنـهُ الأَذى . وعِندَمـا أمرَ النَّبِـىُّ صلّـى

اللّهُ عَليـهِ وسَلّمَ أصحابَهُ بالهجرَةِ إلى المَدينَة ، حاولَ صُهَيبٌ أن يَفرَّ بدينِهِ ، ولكنَّ قُرَيشًا مَنعَته ، وأقامتْ عَليهِ رِقابَةً شَديدَة ، حتّى لا يُفلِتَ مِنهُم ومَعه كُلُّ ما كَسِبَه في تِجارَتِهِ من أَموال وذَهَب .

وابتسَمَ الأُستاذُ مُحمَّد وهو يَقول : إنَّ في قِصَّةِ هِجرَةِ صُهَيب ، مواقِفَ طَريفَة ، فقد استَعملَ ذَكاءَهُ في الإفْلاتِ مِمَّن يَحرُسونَه . ففي إحْدَى اللّيالي البارِدَة ، أكثَرَ صُهيبٌ من الخُروجِ إلى الخَلاءِ ليَقضِيَ حاجَته ، فكانَ لا يَرجِعُ منَ الخَلاءِ حتّى يَعودَ إليه ، واطْمأَنَّ الحُرّاس ، فصُهَيبٌ مُصابٌ في مَعِدَتِه ، ولن يَستَطيعَ الفِرار ، فتَركوهُ لحالِهِ وناموا .

عِندَ ذلِكَ اطْمأَنَّ صُهيبٌ إلى غَفلَةِ حُرّاسِه ، فأخفَى كلَّ ما عِندَه من أموال ، ورَكِبَ ناقتَه ، مُتوَجِّهًا إلى المَدينَة .

سألَ سَيف : وهلْ تَركَ كلَّ ما عِندَهُ من ذَهَب وأمْوال ، وهاجرَ إلى المَدينةِ وهو صِفرُ اليَدَيْن ؟

قالَ المُدرِّسُ الأُستاذُ مُحمَّد : بل فعلَ أكثرَ من ذلك ، فستَرَوْنَ ماذا كانَ من أمرِهِ عندما لَحِقَ به الحُرّاس .

قال سَيف : وهل لَحِقوا به ؟ وماذا فَعَلوا ؟

قالَ الأستاذُ مُحمَّد : عندَما أدرَكَ الحُرّاسُ أنَّهم خُدِعوا ، وفرَّ صُهَيبٌ على حينِ غَفلَةٍ مِنهم ، أسْرَعوا وَراءَهُ وأدْرَكوه . هَل تَعرِفونَ ماذا كانَ منه ؟ لم يَخَف صُهيْبٌ ولم يَرتَعِد ، بل

وَضعَ السّهامَ فى قَوسِه ، وقالَ لَهم : إنّكم تعلَمون كَم أنا رامٍ ماهِر ، فلو أرَدتُم رَمَيتُكُم حتّى تَنفَدَ سِهامى . وإنْ أرَدتُم دَلَلتُكُم على مَكانِ أمْوالى ، وتترُكونى سالِمًا لحالى .

فضَّلَ القُرَشِيّونَ أن يَأخُذوا أمْوالَه ، وقالوا له : لقد أَتيتَنا فَقيرًا فكَثُرَ مالُكَ عِندَنا ، وبَلَغتَ عِندَنا ما بَلَغت ، وتُريدُ الآنَ أن تَنطلِقَ بنَفسِكَ وبما لِك ؟

ودلَّهُم صُهَيبٌ علىَ مَكانِ أمْوالِه ، وتَركوه لحالِه .

قالَ حَسَن : أصَدّقوه ؟ كيفَ لم يَشُكّوا أنه يُمكِنُ أن يَخدَعهم ، ويَدُلَّهم على مَكانٍ آخرَ غير الّذى فيهِ أمْوالُه ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : علَى الرّغمِ من أنّ الكُفّارَ لم يُؤمِنوا بمُحمَّدٍ وبرسالَتِه ، ولكِنّهم كانوا على يَقينٍ من صِدق مُحمَّدٍ وأصْحابِه ، وأمانَتِهم وسُمُوِّ أخْلاقِهم .

ووصلَ صُهيبٌ إلى المَدينَة ، واسْتَقبَلَه الرَّسولُ وقالَ له : (رَبِحَ البَيعُ أبا يَحْيى ، رَبِحَ البيعُ أبا يَحْيَى) .

قالَ سَيف : ماذا كانَ يَقصِدُ الرَّسولُ صلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم بذَلِك ؟

قالَ الأُستاذُ مُحمَّد : كانَ يَقصِدُ أنّ صُهَيبًا قد اشْتَرَى آخِرَته بأولاه ، واشْتَرَى دينَهُ بدُنْياه .

فَفَرِحَ صُهَيبٌ وقالَ لِلرَّسولِ صلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم :

- واللّهِ ما سَبَقَنى إليْكَ أحَدٌ يارَسولَ اللّه ، وما أَخبرَكَ بِهَذا إلاّ جبريل .

وتَنزَّلَت آياتُ القُرآن تُؤَيِّدُ صُهَيبًا فى مَوقِفِه . فقدْ قالَ تعالى : ﴿ ومنَ النّاسِ من يَشْرى نَفْسَهُ ابتِغاءَ مَرضاةِ اللّه ، واللّهُ رَءوفٌ بالِعباد ﴾ .

قالَ الأُستاذُ مُحمّد : ولقد كانَ صُهَيبٌ شُجاعا ، شارَكَ فى جَميعِ الغَزَواتِ والسَّرايا الّتى كانَ فيها الرَّسولُ مُحمّد ، صلّى اللّهُ عليهِ وسَلّم ، فساعَدَ على انْتِشارِ الإسْلامِ شَرْقًا وغَرْبا .

ومن صِفاتِ صُهَيبٍ الحَميدَةِ كذلك : العَطاء . فقدَ كانَ صُهَيبٌ مِعْطاءً يعطِفُ على

الفُقَراءِ والمَساكين ، حتّى إنَّ سَيِّدَنا عُمرَ بنَ الخَطّابِ اتَّهمهُ ذاتَ يَومٍ بالإسْراف .

فقالَ له صُهَيب : سَمِعتُ رَسولَ اللّه صلّى اللّهُ عليهِ وسَلّمِ يَقول : (خِيارُكم مَنْ أطْعمَ الطّعام) .

وقد كرَّمَ سَيِّدُنا عُمرُ بنُ الخَطّابِ صُهَيبًا أيّما تَكريم . فلِسانُ صُهَيبٍ كما سَبقَ أن قُلنا كانَ أَعجَمِيّا ، حيثُ تأثّر بنَشأتِهِ في بِلادِ الرّومان ، وكانَ تكريمُ سَيِّدِنا عُمَرَ صُهَيبا ، بأن أمَرَهُ أن يَؤُمَّ المُسلمينَ في الصَّلاة ، عِندما كانَ سَيِّدُنا عُمَرُ مرَيضًا مرضَ المَوت ، بَعدَ أن خرجَ أبو لؤلؤةَ من صُفوفِ المُصلّين ، وطعنَ عُمرَ ثلاثَ طَعنات وهو يُصلّي صَلاةَ الفَجر . وكانَ اخْتيارُ

عُمرُ صُهَيبا ، ليسَ لحَلاوَةِ صَوتهِ ، ولا لوُضـوحِ ألفاظِه ، ولَكنّهُ اختْارَه لِقُوّةِ إيمانِه .

* * *

وقد عَرفَ التّلاميذُ الغَرضَ من قِصَّةِ صُهَيب ، والمَغزَى المَقصودَ من القِصَّة الّتى اختْارَها لهم مُدرِّسُهُم الأُسْتاذُ مُحمَّد ، وأحسّوا بالخَجَلِ والخِزْىِ من تَصرُّفِهِم السَّيِّءِ مع زَميلِهم بدر ، فشَكروا أُستاذَهُم على قِصَّتِهِ الشّائقَةِ المُفيدَة ، الّتى علَّمَتْهم السُّلوكَ الطَّيِّب .

وفى نهايَةِ الدّرسِ ، توَجّهَ التّلاميذُ إلَى زَميلِهِم بَدر ، وتأَسَّفوا له عن سوءِ سُلوكِهِم ، وتَصرُّفِهِم الخاطِئِ معه .

وبروحِ الإسْلامِ السَّــمْحَه ، قَبِلَ بَـدرٌ اعْتِـذارَ زُملائه .